دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	غرناطة و قصر الحمراء : مقدمة في تاريخ المدينة و الأهمية المعمارية للقصر
المصدر:	المجلة التاريخية المصرية
الناشر:	الجمعية التاريخية المصرية
المؤلف الرئيسي:	بلبع، محمد توفيق
المجلد/العدد:	مج 16
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	1969
الصفحات:	67 - 99
رقم MD:	141381
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	HumanIndex
مواضيع:	التاريخ الإسلامي، الأندلس، قصر الحمراء، تاريخ الأندلس، غرناطه، الفن المعماري، الشعر الأندلسي، الأحوال السياسية، الآثار الإسلامية، المباني الحربية، الزخارف، الهندسة المعمارية، العمارة الإسلامية
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/141381

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

غرناطة وقصر الحمـــراء

مقدمة فى تاريخ المدينة والأهمية المعمارية للقصر

للدكتور محمد توفيق بليع

مدرس الحضارة الاسلامية بكلية الآداب ـ جامعة الاسكندرية

تعتبر مدينة غرناطة من أهم وأشهر مدن الأندلس نظرا لتاريخها الحافل وما تحتويه من الآثار الاسلامية ، على رأسها « قصر الحمراء » (La Al-Hambra) الذى يعد بدوره من أعظم وأشهر المبانى التى خلفها المسلمون فى الشـــرق والغرب على السواء ، فهو بجانب ما يمثله من ضخامة الأسوار وكثرة الأبراج وقوة البناء وتعدد القاعات والابهاء وروعة الزخارف وتنوعها ، بجانب ذلك كله يمكن اعتباره سجلا تاريخيا لفترة من أزهى فترات التاريخ الاسلامى بالاندلس .

يطلق اسم غرناطه ـ فى الوقت الحاضر ـ على الاقليم وعاصمته ، وقد جاءت هذه التسمية القديمة ـ فى أغلب الظن ـ من الكلمة اللاتينيه جراناتوم (Granatum) وتعنى « ثمرة الرمان » نظرا لكثرة مزارعه فى هذه المنطقة [1] .

يقع هذا الاقليم الذى كان يعرف من قبل باسم « كورة البيرة » فى الجزء الجنوبى الشرقى من شبه جزيرة ايبيريا ، على الجانب الأيسر من الحوض الخصيب لنهر الوادى الكبير (Guadalquivir) ويخترقه نهر « شانيل » (Genil) أحد راوفده الهامة .

لم تكن هذه المدينة الاسلامية العظيمة قبل الفتح العربى لاسبانيا سوى قرية صغيره قائمه الى الجنوب الشرقى من مدينة « البيرة » (Elvira) عاصمة

---

(١) يذكر صاحب معجم البلدان أن التسمية الصحيحة هى « أغرناطة » وانها أخذت هذا الاسم لحسنها . ياقوت الحموى ـ معجم البلدان جـ ٣ ص ٧٨٨ ، انظر أيضا : ابن الخطيب ـ الاحاطة ص ٩٩ ؛ نفح الطيب للمقرى جـ ١ ص ١٤١

الاقليم ، وكان ينزلها مع أهلها المسيحيين طائفه كبيرة من اليهود حتى عرفت عند بعض المؤرخين العرب باسم « اغرناطة اليهود » [١] .

أما تاريخ المدينة الاسلامى فيبدأ حوالى سنة ٩٥هـ (٧١٤م) اذ يرجع فتح هذا الاقليم وساحل اسبانيا الشرقى الى جهود عبد العزيز بن موسى [٢] الذى ولى أمر الأندلس بعد رحيل والده موسى بن نصير وطارق بن زياد ـ اللذان تمت على أيديهما أول وأهم مراحل فتح الأندلس ـ الى المشرق بناء على أمر الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك .

وقد نزل ولاة « كورة البيرة » بعد الفتح الاسلامى لاسبانيا مدينة البيرة باعتبارها عاصمة لهذا الاقليم منذ زمن القوط ، واستمر الحال كذلك مدة طويلة من عصر الامارة حتى بنيت العاصمة « قسطلة » Castella بالقرب من البيرة قبل وقت قصير من وصول الأمير عبد الرحمن الأول (الداخل) مؤسس ملك الأمويين بالأندلس فى سنة ١٣٨ هـ (٧٥٦ م) [٣] فأصبحت الحاضرة الجديدة للكورة [٤] ، ولكنها لم تستمر طويلا اذ أخذ اسم « قسطلة » يختفى تدريجيا وحل محله اسم « غرناطة » [٥] ، وظلت غرناطة حتى نهاية القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) بمثابة « قرية كبيرة محصنة بسور قوى » ينزلها مع سكانها المسلمين مجموعة كبيرة من اليهود وأخرى من النصارى أقل عددا من سابقتها [٦] وكان يواجه هذه القرية الكبيرة المسورة على الجانب الأيسر من وادى «حدرة» (Darro) قلعة صغيرة قديمة شيدت على مرتفع من الأرض تشرف منه على

---

(١) عبد المنعم الحميرى ـ الروض العطار ص ٢٣

(٢) دكتور حسين مؤنس ـ فجر الأندلس ص ٧٧ ، ص ١١٢ ؛ دكتور السيد عبد العزيز ـ تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ص ١١٠ ـ بينما نلاحظ أن كلا من صاحب أخبار مجموعة وابن عذارى قد نسب فتح غرناطة والمناطق الشرقية من الأندلس الى جيوش طارق بن زياد . أخبار مجموعة ص ١٢ والبيان جـ ٢ ص ١٦

(٣) Levi — Provençal, Historia de Espana T. IV Espana Musulmana, Trad de E. Garcia Gomez, pp. 220—221.

(٤) ابن حيان ـ المقتبس ـ نشر الأدب ملشور ـ ص ٥٥

(٥) دكتور السيد عبد العزيز ـ تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ص ٣٦٥

(٦) Levi — Provençal, Historia de Espana, T. IV, Espana Musulmana, Trad de E. Garcia Gomez, p. 221.

الوادى عرفت « بالحمراء » نظرا للون الملاط واللبن القرمزى الذى استعمل فى بناء جدرانها ؛ وكانت هذه « القرية » وقلعتها « الحمراء » من أعمال كورة البيرة ، احدى كور الأندلس الواحدة والعشرين التى كانت تنقسم اليها البلاد من الناحية الادارية خلال حكم الأمويين [١] وقد لعبت « قلعة غرناطة » فى عصر أبو محمد عبد الله بن محمد سابع الأمراء الأمويين بالأندلس (٢٧٥ — ٣٠٠ هـ = ٨٨٨ — ٩١٢ م) دورا هاما فى أحداث الفتنة التى نشبت بين العرب بزعامة سوار بن حمدون القيسى وبين أعدائهم من المولدين والعجم فى كورة البيرة ، اذ اتخذها سوار قاعدة وحصنا وملاذا له ولرجاله بعد أن انضم اليه عرب المناطق المجاورة ، فكانت قواتهم تخرج من غرناطة للقـــاء جموع المولدين والعجم ومهاجمة معاقلهم ، وبذلك استطاع العرب كسر شوكتهم وتشتيت شملهم أكثر من مرة ، وفى احدى المعارك الكبيرة التى وقعت بين الفريقين وعرفت عند المؤرخين باسم « وقعة المدينة » تمكن العرب من وضع السيف فى رقاب المولدين وقتلوا منهم اثنى عشر ألفا [٢] ، وقد أشار الى هذا النصر الساحق سعيد بن جودى السعدى ـ صديق سوار والذى تولى رياسة العرب من بعده ـ فى قصيدة طويلة جاء فيها [٣] :

لقد سَلَّ سَـــوَّارٌ عليكم مهندا
يَجُذُّ به الهـــامات جذ المفاصلِ

به قتـــل الله الذين تحزَّبوا
علينا وكانوا أهـــل افك وباطلِ

---

(١) Levi — Provençal, Historia de Espana, T. V, Espana Musulmana, Trad. E. Garcia Gomez, p. 27.

(٢) ابن حيان ـ المقتبس ص ٥٦ ـ ٥٧ ؛ ابن الآبار ـ الحلة السيراء جـ ١ ص ١٤٩ ـ ١٥٠ ، وقد أشار الى قوة سوار واشتداد سطوته فقال : « وغلظ أمره فاستبق حينئـذ الى حصن غرناطة بالقرب من مدينـة البيرة وصعد اليه فتبوأه دارا اجتمعت اليه فيه عرب كورة البيرة وكاتبته عرب النواحى الى حدود « قلعة رباح » وغيرها .. » .

أما ابن عذارى فقد ذكر أن قتلى المولدين فى هذه الموقعة قد بلغوا أحد عشر ألفا فقط ـ البيان جـ ٢ ص ٢٠٢

(٣) انظر هذه القصيدة الطويلة فى المقتبس لابن حيان ص ٥٧ ـ ٥٩ ؛ ابن الأبار ـ الحلة السيراء جـ ١ ص ١٥٠ وما بعدها .

سما لبنى الحمـــراء اذ حان حينهم
بجمع كمثل الطـــود أرعن رافلِ

أدرتم رحى حرب فدارت عليكمُ
لحتف قد أفنـــاكم به الله عاجلِ

لقيتم لنا ملمـــومة مستجيرة
تجيد ضراب الهام تحت العواملِ

بها من بنى عدنان فتيـــانُ غارة
ومن آل قحطان كمثـــلِ الأجادلِ

يقودهم ليث هزبرٌ ضُـــبَارِمٌ
مِحَشٌ حـــروب ماجد غير خامل

وقد أشار الشاعر فى البيت الثالث من القصيدة الى قوات العرب التى كانت تتجمع فى قلعة غرناطة وتتخذها قاعدة لها فأطلق عليهم « بنى الأحمر » نسبة الى قلعتها الحمراء اللون .

وفى الفترة التالية ــ خلال حكم الخلفاء الأمويين ــ أخذت مدينة غرناطة تنمو وتتسع حتى أصبحت من بين مدن الأندلس الهامة .

وقد بلغت المدينة أولى مراحل مجدها وعظمتها ، باعتبارها مركزا وعاصمة للاقليم الذى تقع فيه ، فى عهد بنى زيرى ــ وهم من قبائل البربر التى تنسب الى صنهاجة ــ الذين وفدوا الى عدوة الأندلس ونزلوا فى هذه المنطقة وأقاموا فيها « مملكة غرناطة » التى لعبت دورا رئيسيا على مسرح الأحداث السياسية والعسكرية فى عصر ملوك الطوائف ــ فكانت ندا قويا لمملكة بنى عباد فى أشبيلية وبنى ذى النون أصحاب طليطلة وبنى هـــود حكام الثغر الأعلى فى سرقسطة وبنى حمود الخلفاء فى مالقة والجزيرة ، وغيرهم من حكام الممالك التى قامت فى الأندلس بعد انفراط عقد الخلافة الأموية على أثر خلع هشام بن محمد المعتد بالله آخر خلفائهم فى قرطبة فى أواخر سنة ٤٢٢ هـ (١٠٣١ م) [١] .

---

(١) Levi — Provençal, Historia de Espana, T. IV, Espana Musulmana, Trad. de E. Garcia Gomez, pp. 485—486. =

وقد عبر بنو زيرى المضيق الى الأندلس على أثر نشوب نار الفتنة بين حماد بن بلكين بن زيرى صاحب القلعة المنسوبة اليه بالمغرب الأوسط وبين أعمامه من بنى زيرى ـ مما أدى بحماد الى قتل عمه ماكسن بن زيرى وولديه محسن وباديس سنة ٣٩١ هـ (١٠٠١م) وعندئذ خشى عمه الآخر ـ زاوى ـ على نفسه وفر الى الأندلس مع أسرته وقد صحبه ابنا ماكسن الآخران حباسة وحبوس ـ ونزل هؤلاء البربر الفارين من افريقية على الحاجب المظفر عبد الملك ابن المنصور بن أبى عامر الذى استقبلهم استقبالا حافلا ، فأكرم وفادتهم وانتهز فرصة اضطراب الأمور والأحداث السائدة واصطنعهم لنفسه فاتخذهم بطانة لدولته وقوة يستند اليها فى تثبيت مركزه وتنفيذ سياسته[١] .

ولما اشتعلت نار الفتنة فى قرطبة سنة ٣٩٩هـ (١٠٠٩م) بعد مقتل عبد الرحمن شنجول شقيق عبد الملك انضمت جموع البربر بزعامة زاوى بن زيرى ، الى جانب سليمان المستعين بالله ، وأخذوا له البيعة فى المسجد الجامع بقرطبة فى ربيع الأول سنة ٤٠٠ هـ (نوفمبر سنة ١٠٠٩م) [٢] . وظل زعيم صنهاجة على موقفه مؤيدا لسليمان ضد منافسه محمد بن عبد الجبار الملقب بالمهدى الذى قام ينافسه على الخلافة ـ فلما انتهى الأمر الى سليمان منح نصيره ومؤيده زاوى كورة البيرة ، فاستقر زعيم البربر مع رجاله بمدينة غرناطة « وأقام بها ملكا وأثل بها سلطانا لذويه فهو أول من مدن غرناطة وبناها وزادها تشييدا ومنعة »[٣] .

= انظر أيضا : دكتور السيد عبد العزيز ـ تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ص ٣٦٣

وعن ملوك الطوائف انظر :

A. Prieto y vives, Los Reyes de Taifas, Madrid, 1926, pp. 21—76.

وكذلك : يوسف أشباخ ـ تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين ـ الترجمة العربية ص ٢٦ ـ ٦١

(١) ابن الخطيب ـ الاحاطة ص ٤٤٠ ، ص ٥٢١ ؛ ابن عذارى ـ البيان جـ ١ ص ٣٦١

(٢) Levi — Provençal, Un texte arabe inédit sur L'historie de L'Espagne Musulman dans la second moitie du XIeme siecle, Al-Andalus Vol. III, Fasc. 2, p. 240.

انظر أيضا : ابن خلدون ـ كتاب العبر جـ ٦ ص ١٧٩

(٣) ابن الخطيب ـ الاحاطة ص ٥٢٢ ، أنظر أيضا : ابن خلدون ـ كتاب العبر ـ جـ ٦ ص ١٨٠

والى هذه الأسرة المغربية الأصل البربرية الجنس يرجع الفضل فى تمصير غرناطة واتساع رقعتها ، فقد بدأ زعيمها زاوى بن زيرى عملية البناء والتعمير فى موطنه الجديد مع مطلع القرن الخامس الهجرى تقريبا (الحادى عشر الميلادى) وقد شاركه فى ذلك رجاله وجنوده مع من انضم اليهم من قبائل البربر الأخرى التى كانت تنزل الأندلس خاصة بعد أن وصلت اليها أعداد كبيرة من سكان مدينة البيرة القديمة التى حاق بها الخراب والدمار فى سنة ٤٠١ هـ (١٠١٠ م) بسبب الحروب والفتن التى اجتاحت البلاد [١] الا أن مقام الأمير زيرى لم يطل فى امارته الجديدة ، فبعد سبع سنوات تقريبا راوده الحنين الى وطنه الأصلى لا سيما وأنه كان يخشى على نفسه من ازدياد أمر الفتنة وعدم استقرار الأحوال بالأندلس — فعبر البحر عائدا الى افريقية فى سنة ٤١٦ هـ (١٠٢٥ م) فلقيه ابن عمه المعز بن باديس صاحب القيروان « بأحسن أحوال البر والتجلة وأنزله أرفع المنازل من الدولة وقدمه على الأعمام والقرابة وأسكنه بقصره [٢] » وكان زاوى قبل رحيله عن غرناطة قد استخلف على ملكه ابن أخيه حبوس بن ماكسن — وظل بنو زيرى منذ ذلك التاريخ يتوارثون حكم الاقليم حتى ظهور المرابطين فى المغرب وعبور يوسف بن تاشفين الى الأندلس واستيلائه على غرناطة فى سنة ٤٨٣ هـ (١٠٩٠ م) [٣] — ثم قبض على آخر ملوكها عبد الله بن بلكين

---

(١) L. T. Balbas, Esquema demografico de la cuidad de Granada, Al-Andalus, Vol. XXI, Fasc. 1, p. 131.

(٢) ابن خلدون — العبر جـ ٦ ص ١٨٠ ، انظر أيضا : ابن الخطيب — الاحاطة ص ٥٢٥

Levi — Provençal, Un texte arabe inédit., Al-Andalus, Vol. III, Fasc. 2, p. 243.

(٣) دكتور السيد عبد العزيز — المغرب الكبير — العصر الاسلامى ص ٦٤٩ ، ابن الخطيب — الاحاطة — مخطوط مكتبة الاسكوريال الذى نشره ليفى بروفنسال فى مجلة :

Al-Andalus, Vol. IV Fasc. 1, p. 126.

ونلاحظ أن المؤرخين العرب قد اختلفوا فى كيفية استيلاء يوسف بن تاشفين أمير المرابطين على غرناطة — فذكر بعضهم أن جيوشه وصلت الى مشارف المدينة بعد أن علم أن أميرها عبد الله بن بلكين قد تحالف سرا مع الفونس السادس ملك قشتالة وخصص له مبلغا من المال يدفعه للملك المسيحى كل سنة — فتقدمت جيوش المرابطين لوضع نهاية لهذا الحلف — فلما علم ملك غرناطة خشى قوة المرابطين فخرج مع والدته للقاء يوسف والترحيب به وصحبه الى المدينة فدخلتها جيوش الأمير المرابطى واستولت عليها دون قتال .

وقد ذكر ذلك ابن الخطيب فى الاحاطة كما رواها ليفى بروفنسال فى مجلة :

Al-Andalus, Vol. IV, Fasc I, p. 126. =

الملقب بالمظفر بالله والناصر لدين الله وأخذه أسيرا الى اغمات فى بلاد المغرب . وعلى هذه الصورة انتهى ملك بنى زيرى من غرناطة وأصبحت المدينة منذ ذلك التاريخ مع اقليمها تكون جزءا هاما من أملاك المرابطين فى الأندلس شأنها شأن غيرها من مناطق اسبانيا الجنوبية .

ويرجع بناء السور الكبير الذى يدور حول مدينة غرناطة وقصبتها الى جهود كل من الأميرين حبوس بن ماكسن (٤١٦ — ٤٢٩ هـ = ١٠٢٥ — ١٠٣٨م) وابنه وخليفته باديس المظفر (٤٢٩—٤٦٧هـ=١٠٣٨ — ١٠٧٥م) [١] وعلى ذلك أصبحت غرناطة منذ القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) كبقية مدن الأندلس الاسلامية الهامة تضم داخل أسوارها القوية القصبة المنيعة والمناطق السكنية الأخرى .

استمرت مدينة غرناطة بعد ذلك تكبر ويزداد عمرانها حتى أصبحت فى عهد المرابطين والموحدين من بعدهم — (من أواخر القرن الخامس الى بداية القرن السابع الهجرى = الحادى عشر — الثالث عشر الميلادى) — من أهم وأكبر مدن الأندلس ، حتى لقد اتخذها الأمير أبو الطاهر تميم بن يوسف والى البلاد زمن شقيقه الأمير على بن يوسف مقرا له . ولعبت غرناطة فى هذه الفترة دورا هاما خلال الغارة المسلحة التى بدأها الفونسو الأول المحارب ضد أملاك المسلمين فى سنة ٥١٩ هـ (١١٢٥ م) واستمرت مدة خمسة عشر شهرا استطاع خلالها ملك أراجون بمعاونة المستعربين لاسيما نزلاء غرناطة منهم أن ينشر الذعر والخراب فى أملاك المسلمين ، كما تمكن من مهاجمة غرناطة وضرب الحصار عليها وكاد يقتحمها لولا قوة تحصيناتها وشجاعة المدافعين عنها والمدد الذى وصلهم من المغرب،مما اضطر المهاجمين الى رفع الحصار ومتابعة الحملة فى المناطق الأخرى الجنوبية ، حتى وصلت جيوشهم الى مدينة « أرينسول » Arnisol جنوبى

= — انظر أيضا الكامل لابن الأثير جـ ٨ ص ١٤٢ — ١٤٣

— كذلك ذكر مثل هذه الرواية : يوسف أشباخ فى تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين — الترجمة العربية ص ٩٣

— بينما ذكر ابن خلدون أن يوسف استنزل صاحب غرناطة بعد أن علم بتحالفه مع الملك المسيحى ضده وبذلك فتحت المدينة عنوة — العبر جـ ٦ ص ١٨٧ انظر أيضا : السلاوى — الاستقصا جـ ٢ ص ٤٨

(١) L. T. Balbas, Al-Andalus, Vol. XXI, Fasc. 1, p. 131.

غرناطة وعندها نشبت معركة كبيرة بين قوات ألفونســـو وجيوش الأمير تميم التى كانت تتعقبه وتتحين الفرصة للانقضاض عليه ، الا أن ملك أراجون استطاع أن ينتزع النصر فى النهاية من أعدائه الذين ألهتهم الغنائم بعد تفوقهم فى الضربة الأولى (صفر سنة ٥٢٠ = مارس سنة ١١٢٦) . وبعد هذا الانتصار واصلت الجيوش المسيحية تقدمها حتى ساحل البحر المتوسط قرب مدينة مالقه ومن هناك استدار الملك المنتصر وعاد الى مملكته فى الشمال دون أن يحقق شيئا اللهم الا تخريب المدن واحراق المزروعات ونشر الفوضى والذعر بين السكان المسلمين ، كما صحب معه فى العودة عدة آلاف من المستعربين الذين خشوا على أنفسهم نتيجة خيانتهم للمسلمين ، كما طرد عدداً آخر منهم الى شمال افريقيا ونزلوا اقليمى مكناس وسلا [١] .

ومن ناحية أخرى فاننا نلاحظ أن أهمية غرناطة واتساع العمران فيها استمر فى زمن الموحدين باعتبارها قصبة من قصباتهم الهامة ؛ فقد بلغت مساحة المدينة المسورة فى القرنين الخامس والسادس من الهجرة (الحادى عشر والثانى عشر للميلاد) ما يقرب من خمسة وسبعين هكتارا وكانت تضم أكثر من أربعة آلاف وأربعمائة منزل ، يقيم فيها أكثر من ست وعشرين ألف وأربعمائة نسمة[٢] .

وقد استمرت المدينة بعد ذلك فى النمو والزيادة فتضاعف عدد سكانها عدة مرات حتى بلغ ما يقرب من نصف مليون نسمة فى عهد ملوك بنى نصر ؛ بينما تقلص هذا العدد الى ثمانين ألف نسمة فقط بعد سقوط المدينة العظيمة فى أيدى الملكين الكاثوليكيين فرناندو وايزابلا فى سنة ٨٩٧ هـ (١٤٩٢م)[٣] وهذا من غير شك يعطى صورة صادقة لما كانت عليه المدينة الاسلامية من الازدهار والتقدم . وكان ربض البيازين Albaicin الذى تشرف عليه قلعة الحمراء بواجهتها الشمالية من أهم أحيائها العربية وما زال هذا الربض قائما الى يومنا هذا يحمل اسمه الأول وطابعه الاســـلامى القديم بمنازله الصغيرة وشوارعه الضيقة .

---

(١) عن هذه الحملة العسكرية انظر كتاب الحلل الموشية « Al-Hulal Al Mawsiyya » الترجمة الاسبانية لأويتى ميراندا ــ ص ١٠٩ ــ ١١٥ « A. Huici Miranda »
انظر أيضا الاحاطة ــ ص ١١٤ وما بعدها .

(٢) L. Tarres Balbas, Al-Andalus, Vol. XXI, Fasc. 1 pp. 139—140.

(٣) The Encyclopaedia of Islam, Vol. II, p. 176.

فاذا كانت قرطبة قد نالت قصب السبق كعاصمة للأمويين بالأندلس لمدة تزيد على القرنين ونصف القرن ، وتبعتها أشبيلية لفترة أخرى تجاوزت المائة والستين عاما كحاضرة للبـــلاد زمن كل من المرابطين والموحدين ، فان مدينة غرناطة استمرت من بعدهما عاصمة لمملكة بنى نصر لفترة تتعدى المائتين والستين عاما ، بعد أن انحسر ملك المسلمين فى الأندلس داخل حدودها على أثر سقوط قرطبة عاصمة الخلافة الأموية سنة ٦٣٣ هـ (يونيو سنة ١٢٣٦م) ومن بعدها أشبيلية سنة ٦٤٦ هـ (نوفمبر ســـنة ١٢٤٨م) فى يدى فرناندو الثالث ملك قشتالة وليون[١] ـ وبذلك حق لقاعدة المسلمين الجديدة وملاذهم بالأندلس أن تنيه على قرينتيها ، قائلة بلسان أحد أدباء الأندلس « أبو بحر صفوان بن ادريس » :

« لى المعقل الذى يمتنع ساكنه من النجوم ، ولا تجرى الا تحته جياد الغيث السجوم ، فلا يلحقنى من معاند ضرر ولا حيف ، ولا يهتدى الىّ خيال طارق ولا طيف ، فاستسلموا قولا وفعلا ، فقد أفلح اليوم من استعلى . لى بطاح تقلدت من جداولها أسلاكا ، وأطلعت كواكب زهرها فعادت أفلاكا ، ومياه تسيل على أعطافى كأدمع العشاق ، وبرد نسيم يرددماء المستجير بالانتشاق ، فحسنى لا يطمع فيه ولا يحتال .. فما لكم تعتزون لفخرى وتنتمون ، وتتأخرون فى ميدانى وتتقدمون ، تبرؤا الىّ مما تزعمون ، ذلكم خـير لكم ان كنتم تعلمون »[٢] .

ولا شك أن حاضرة بنى الأحمر صادقة فيما ذهبت اليه من فخر وسمو وتيه على أقرانها من كبريات مدن الأندلس ، فموقعها ممتاز اذ تقع على سفح سلسلة جبال سيرانيفاد (Sierra Nevad) ـ « جبال الجليد » ، وتشرف من هذا المكان على الوادى الخصيب المتسع الممتد فى شمالها والذى وصفه الحميرى بأنه « أطيب البقاع نفعة وأكرم الأرضين تربة ولا يعدل به مكان غير غوطة دمشق وشارحة الفيوم »[٣] وتكسو هذه المساحات الواسعة البساتين الفيحاء وأشجار الفاكهة المختلفة ، كالتفـاح والرمان والتين والقسطل والكروم ، بجانب الخضر

---

(١) Pedro A. Bleye ; Manual de historia de Espana, T. I, pp. 677—679.

(٢) المقرى : نفح الطيب جـ ١ ص ١٦١

(٣) الحميرى : الروض المعطار ـ ص ٢٤

والحبوب لا سيما الحنطة والذرة ، كما تكثر به المواد الأفوية من العطـــور والطيب والعود وغيرها [١] . ومما يزيد من مكانة غرناطة وأهمية اقليمها أنه يوجد به مناجم للمعادن النفيسة والهامة كالذهب والفضة والحديدوالرصاص [٢] وغيرها ، وبجانب ذلك كله فقد اشتهرت هذه المنطقة بالمنسوجات الحريرية التى كان لها سوقا رائجة فى الأندلس والبلاد المجاورة بالاضافة الى الكتان « الذى يربو حيده على كتان النيل ويكثر حتى يصل الى أقاصى بلاد المسلمين » [٣] ومن هنا تأتى أهمية هذه الكورة الاقتصادية ، وغنى أهلها وافتخارهم بمكانتها وثروتها النباتية والطبيعية ، واعتدال مناخها وطيب نسيمها وحسن مقامها . وعلى ذلك فلا يذكر تاريخ اسبانيا الاسلامية الا ويقفز الى الأذهان اسم غرناطة ويلمع فى الخيال بريق حمرائها التى احتفظت بين يديها بشعلة العلم والفن وانتشر من فوق مناراتها نور المعرفة والحضارة العربيتين فى اسبانيا المسيحية ، بل وفى أوربا عامة ، قويا ساطعا وهاجا لحقبة طويلة من الزمن ، بعد أن انطفأ وخبت أضواؤه من فوق منابر قرطبة وأشبيلية وطليطلة وسرقسطة ، وغيرها من المدن الأندلسية المعروفة التى لعبت دورا هاما وبارزا فى تاريخ اسبانيا الاسلامية فى جميع فروع الحياة السياسية والاجتماعية والدينية والفكرية والاقتصادية والفنية والعسكرية خلال القرون الثمانية التى استمر خلالها حكم العرب لهذه البلاد من أواخر القرن الأول الهجرى الى أواخر القرن التاسع (بداية القرن الثامن الميلادى الى أواخر القرن الخامس عشر) .

ويرجع ظهور مملكة غرناطة الى جهود رجل عربى طموح هو « محمد بن يوسف بن نصر » المعروف بابن الأحمر ، يتصل فى نسبة الأول بسعد بن عبادة سيد الخزرج وأحد كبار صحابه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأنصار . كان ابن الأحمر قوى الشخصية ، عالى الهمة ، كما كانت له مقدرة فائقة على مجابهة الأحداث والاستفادة منها كما يظهر من سيرته وتاريخ مملكته .

دخل أسلافه الأندلس مع جيوش الفتح واستقر مقامهم عند حصن أرجونة (Arjona) — (الى الشمال من غرناطة بالقرب من مدينة جيان Jaén) —

---

(١) ابن الخطيب : الاحاطة ص ١٠٥ ، المقرى : نفح الطيب جـ ١ ص ١١٦
(٢) ابن الخطيب — الاحاطة ص ١٠٤ ، الحميرى — الروض المعطار ص ٢٤
(٣) الحميرى — الروض المعطار ص ٢٤ ، ابن الخطيب — الاحاطة — ص ١٠٥

ثم أخذت أسرة ابن نصر منذ ذلك الحين تتكاثر وتزداد عددا ، وتقوى مكانة حتى آلت زعامتها الى محمد هذا الذى عرف بالشيخ [١] .

وعندما ضعفت قبضة الموحدين على أملاكهم فى الأندلس فى مطلع القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) لا سيما بعد انتصار الفونسو الثامن (Alfonso VIII) ملك قشتالة وحلفائه من ملوك أسبانيا المسيحيين على محمد الناصر الخليفة الموحدى فى موقعة العقاب Las Navas de Tolosa سنة ٦٠٩ هـ (يوليو سنة ١٢١٢ م) [٢] ، وجد عدد من كبار رجالات الأندلس الفرصة سانحة لشق عصا الطاعة على الموحدين ، فثاروا فى مناطق متعددة بالبلاد وحاولوا السيطرة على ما تحت أيديهم من أملاك الدولة والاستقلال بها عن السلطة المركزية فى مراكش عاصمة الخلافة الموحدية بالمغرب . وكان من بين هؤلاء الثوار محمد بن يوسف بن نصر الذى « طار اسمه فى الأندلس وآل ذلك أن قدمه أهل حصنه على أنفسهم » [٣] فنصبه أهل أرجونة — مسقط رأسه — فى سنة ٦٢٩ هـ (١٢٣٢ م) واليا عليهم ، ثم ما لبث أن دخلت فى حوزته أيضا مدينة جيان فى السنة التالية . ولما قتل أبو عبد الله محمد بن يوسف بن هود المتوكل على الله فى سنة ٦٣٥ هـ (١٢٣٨ م) الذى ثار بدوره على الموحدين فى مدينة مرسية واتخذها عاصمة لمملكته فى شرق الأندلس ، خشى أهل غرناطة — بعد مقتل أميرهم ابن هود — على مدينتهم من جيوش المسيحيين التى كانت فى تلك الأثناء تضغط بقوة على أملاك المسلمين فى محاولات شديدة ومتكررة لتمزيق وحدتها والاستيلاء عليها ، فاتصلوا بابن الأحمر أثناء وجوده فى جيان وبعثوا اليه ببيعتهم والدخول فى طاعته ، فاستجاب لرغبتهم وانتقل الى غرناطة واتخذها منذ ذلك الحين — فى سنة ٦٣٥ هـ — مقاما له وحاضرة لمملكته الجديدة [٤] .

---

(١) المقرى — نفح الطيب جـ ١ ص ٤٢١

(٢) عن هذه الموقعة الكبيرة والحاسمة انظر :

A. Huici Miranda, Las Grandes Batallas de la Reconquista, pp. 253—278.

انظر أيضا — السلاوى — الاستقصاء جـ ٢ ص ١٩٦ — ص ٢٠٠

يوسف اشباخ — تاريخ الأندلس ص ٣٥٤ — ص ٣٧٣

(٣) المقرى — نفح الطيب — جـ ١ ص ٢٠١

(٤) المرجع السابق — جـ ١ ص ٤٢٢

انظر أيضا : ابن الخطيب — الاحاطة ص ١٤٧ — ١٤٨

ولم يتوان مؤسس مملكة غرناطة منذ وصوله الى مقره الجديد عن العمل بهمة ونشاط على تدعيم مركزه وتثبيت سلطانه وحماية نفسه وأسرته ضد أية محاولة من جانب أعدائه ومنافسيه للاطاحة به أو الثورة عليه ، فما وافت السنة التالية ٦٣٦ هـ (١٢٣٩ م) الا كان رأيه قد استقر على انشاء حصن يحتمى به ويلوذ اليه ، فركب من المدينة الى الأطلال المحيطة بها والمرتفعات القريبة منها يستكشف طبيعة أرضها ويختبر قوة مناعتها عله يجد من بينها مكانا يصلح لهذا الغرض ، فاستقر به المطاف فى نهـاية الأمر فى منطقة « السبيكة » فى الجانب الشمالى الشرقى من مدينة غرناطة (شكل ١) حيث كانت توجد أطلال احدى القلاع القديمة ، ووضع ابن الأحمر فى هذا الموضع المرتفع أساس حصنه الجديد « قصبة الحمراء » ثم أمر باقامة البناء والعمل على اتمامه بسرعة . ولم يغب عن ذهن هذا القائد المجرب توفير الماء اللازم لقصره فأمر بعمل سد على نهر حدرة (Darro) الذى كان يجرى فى الجهة الشمالية تحت أقدام التل الذى شيدت فوقه القلعة لتؤخذ منه المياه وترفع الى الحصن بواسطة سواقى . وقد أشار

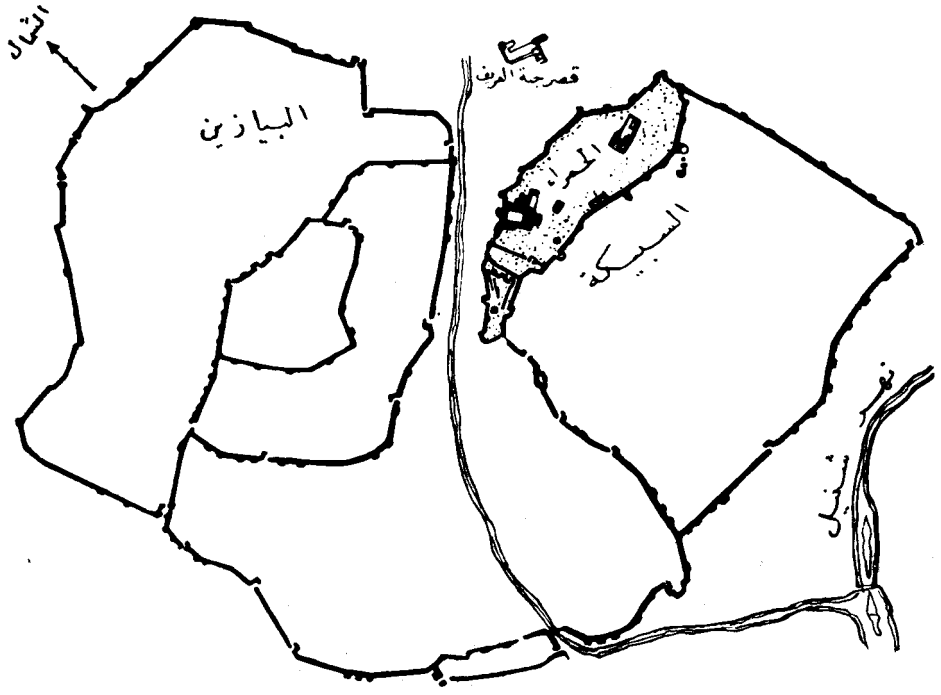

موقع الحمراء بالنسبة إلى مدينة غرناطة

(شكل ١)

صاحب كتاب « البيان المغرب » الى ذلك بقوله : « وفيها (فى سنة ٦٣٦ هـ) — ركب أبو عبد الله بن الأحمر من غرناطة الى موضع الحمراء وأجال فيها نظره وخط أساس الحصن وجعل فيه من حفره وما تمت السنة الا والحصن مشيد البناء حصينه وقد جاءه من ماء الوادى برفع سد وحفر ساقية معينة [١] » وفى نفس الوقت الذى كان فيه العمل جاريا فى اقامة القلعة ، كان أمير غرناطة وحاكمها الجديد يوسع رقعة مملكته على حساب المدن والامارات الاسلامية المجاورة ، فضم اليه مدينتى مالقة وألمرية وأحوازهما ، وبذلك وصلت حدود دولته الى سواحل اسبانيا الجنوبية الشرقية ، كما شملت بعد ذلك فى سنة ٦٦٣ هـ مدينة لورقة من جهة الشرق [٢] .

ولم تفتر عزيمة محمد بن يوسف ولم يخلد الى الراحة والدعة ، بل استمر طيلة مدة حكمه التى امتدت الى ما يقرب من ست وثلاثين سنة بعد دخوله غرناطة ، (٦٣٥ — ٦٧١ هـ = ١٢٣٨ — ١٢٧٣ م) يقاتل لتحقيق مطامعه وأهدافه فى تأسيس مملكة قوية كبيرة ، مما دفعه الى خوض العديد من الحروب ، خاصة ضد بنى مرين أصحاب المغرب للاستيلاء على أملاكهم فى المناطق الجنوبية من اسبانيا . وقد استطاع الأمير الأندلسى أن ينتصر عليهم فى كثير من المعارك [٣] ، وبذلك ثبتت دعائم مملكته واستقر سلطانه وازداد نفوذه وذاعت شهرته فى المناطق المجاورة حتى وافاه الأجل فى سنة ٦٧١ هـ (١٢٧٣ م) فخلفه ابنه وسميه محمد الثانى « الفقيه » (٦٧١ — ٧٠١ هـ = ١٢٧٣ — ١٣٠٢ م) الذى استكمل بناء القلعة (القصبة) واليه أيضا يرجع الفضل فى اتمام جانب كبير من أسوار الحمراء [٤] . وتولى أمر المملكة من بعده ابنه أبى عبد الله محمد الثالث المخلوع (٧٠١ — ٧٠٨ هـ = ١٣٠٢ — ١٣٠٨ م) « وكان من أعظم أهل بيته صيتا

---

(١) ابن عذارى — البيان المغرب فى أخبار ملوك الأندلس والمغرب جـ ٤ ص ٤٠٢ — ٤٠٣

انظر أيضا الترجمة الاسبانية لاويثى ميراندا .

A. Huici Miranda ; Al-Bayan Al-Mugrib Fi Ijtisar Ajbar Muluk Al-Andalus Wa Al-Magrib, Los Almohades, Tomo III, p. 125.

(٢) المقرى — نفح الطيب جـ ١ ص ٤٢٢

(٣) المرجع السابق — ص ٤٢٣

(٤) Ars Hispaniae, Vol. IV, p. 84.

وهمة »[١] ، كما اشتهر فى نفس الوقت بالغلظة والقسوة فى معاملة الرعية مما دفع أهل غرناطة للتآمر عليه واقصائه عن الحكم فى شوال سنة ٧٠٨ هـ وتنصيب أخيه أبى الجيوش نصر حاكما على البلاد . ولم يمكث محمد الثالث بعيدا عن الحكم مدة طويلة ودبرت له مؤامرة جديدة أودت بحياته حيث مات غريقا فى أوائل شوال سنة ٧١٠ هـ (١٣١٠ م) بعد سنتين تقريبا من خلعه[٢] .

والى هذا الأمير المخلوع يرجع الفضل فى بناء المسجد الجامع بالحمراء وتزيينه وتجميله، حتى وصفه الوزير الأديب ابن الخطيب «.. بالظرف والتنجيد والترقيش وفخامة العمد واحكام أنوار الفضة وابداع ثراها »[٣] . وقد ظل هذا المسجد قائما حتى النصف الثانى من القرن العاشر للهجرة (السادس عشر الميلادى) ، عندما أزيل فى زمن الامبراطور فيلب الثانى بن شارلكان ، وبنى مكانه كنيسة سانت ماريا الحالية Santa Maria[٤] كذلك بنى الأمير محمد الثالث (المخلوع) حماما بازاء المسجد وجعله وقفا عليه[٥] ، وقد تهدم هذا الحمام بدورة وظلت أطلاله فى مكانها أثرا باقيا تشهد على وجوده .

وقد تعاقب على حكم غرناطة بعد هؤلاء الثلاثة الأول ثمانية عشر سلطانا، تولى بعضهم أمر المملكة أكثر من مرة لصغر السن أو قلة الحيلة أو ضعف قبضتهم على البلاد ، بينما كان بعضهم الآخر على جانب كبير من الذكاء والقوة والسطوة والثروة ، حتى يمكننا أن نتخيل هذه الفترات المزدهرة اللامعة فى تاريخ غرناطة ، ومظاهر الغنى والجاه ، وصور النعمة السابغة الرائعة التى كان يحياها هؤلاء السلاطين ، نتخيل كل ذلك واضحا جليا فى مظاهر الطبيعة الفاتنة ممثلة فى بساتين الحمراء وحدائقها وخمائلها وكثرة قاعاتها وأبهائها التى تفنن المسلمون فى اخراجها ، وأبدعوا فى زخرفها وأفرطوا فى زينتها ، فغدت صورة صادقة لألوان

---

(١) ابن الخطيب ــ الاحاطة ــ ص ٥٥٢

(٢) المرجع السابق ص ٥٦٠ ــ ٥٦٢

(٣) المرجع السابق ص ٥٥٤ ــ ٥٥٥

انظر ايضا : محمد عبد الله عنان ــ الآثار الأندلسية الباقية ص ١٦٠ ، ص١٧٥

(٤) L. Torres Balbas ; Cronologia de las construcciones de la Casa Real de la Alhambra, Al-Andalus, Vol. XXIV, Fasc. 2, p. 402.

انظر ايضا : محمد عبد الله عنان ــ الآثار الأندلسية الباقية ص ١٧٦

(٥) ابن الخطيب ــ الاحاطة ــ ص ٥٥٥

الجمال التى كان يعبق بها جو هذا القصر المنيف ، والنعمة الموفورة والترف البالغ اللذين كان يتمتع بهما ملوك غرناطة .

وقد بلغت هذه المملكة ذروة مجدها السياسى والحضارى وقمة نضجها الفكرى والأدبى خلال القرن الثامن من الهجرة (الرابع عشر الميلادى) خاصة فى سلطنة كل من أبى الحجاج يوسف الأول (٧٣٣ ــ ٧٥٥ هـ = ١٣٣٣ ــ ١٣٥٤ م) « لباب هذا البيت وواسطه هذا العقد وطراز هذه الحلية [١] » ، وابنه محمد الخامس الغنى بالله الذى حكم على فترتين (٧٥٥ ــ ٧٦٠ هـ ، ٧٦٣ ــ ٧٩٣ هـ = ١٣٥٤ ــ ١٣٥٨ م ، ١٣٦٢ ــ ١٣٩١ م) . وقد وزر لهما لسان الدين بن الخطيب ، وهو الذى يعتبر بحق مثالا صادقا لعصر التقدم والازدهار فى تاريخ غرناطة ، بصورة خاصة ، وعلما من أعلام المسلمين فى الأندلس بصورة عامة ، حتى خصة الأديب والمؤرخ المغربى « أحمد بن محمد المقرى » الذى عاش فى القرن الحادى عشر الهجرى (السابع عشر الميلادى) ، بالجزء الأكبر من كتابه المعنون بـ « نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب » وهو مرجع من أهم المراجع فى تاريخ المسلمين السياسى والأدبى بالأندلس .

كان ابن الخطيب من غير شك ، عبقرية متشعبة النواحى « فهو طبيب ، وفيلسوف ، وهو كاتب وشاعر من الطراز الأول ، وهو مؤرخ بارع ، وهو أخيرا وزير وسياسى ثاقب النظر قوى الادراك » [٢] ، ترك آثاره واضحة فى مؤلفاته الضخمة المتعددة التى خلفها لنا ، والتى دار معظمها عن تاريخ مملكة غرناطة التى تقلد فى زمن أعظم سلاطينها أرفع مناصبها . ومن أشهر كتبه التى تجاوزت الخمسين مؤلفا كتاب الاحاطة فى اخبار غرناطة ، التاج المحلى فى مساجلة القدح المعلى ، وهو مختصر لكتابه السابق (الاحاطة) ، اللمحة البدرية فى الدولة النصرية وهو كما يظهر من عنوانه يعالج تاريخ دولة بنى نصر ملوك غرناطة ، وكذلك كتبه : طرفة العصر فى تاريخ بنى نصر ، ريحانة الكتّاب ونجعة المنتاب ، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام ، بستان

---

(١) ابن الخطيب ــ الاحاطة ص ١٤٨

(٢) ابن الخطيب ــ الاحاطة ــ انظر المقدمة التى كتبها محقق الكتاب الأستاذ محمد عبد الله عنان ص ٣١

الدول وهو كتاب عن السياسة ، السحر والشعر ، وهو كتاب حوى مجموعة من قصائد كبار الشعراء فى المشرق والمغرب على السواء أمثال : ابن نباتة وابن الرومى وابن المعتز والبحترى وابن عبدون وابن صمادح وابن هذيل وغيرهم . وكتابه عن الطب المعنون باسم : عمل من طب لمن حب [١] .

وقد جاءت كتابات ابن الخطيب فى « الاحاطة » عن العظمة والتقدم اللذين بلغتهما غرناطة ، صورة صادقة لعصره ، انطبعت مظاهرها على حياة الناس ، وطرق معيشتهم فى جميع النواحى السياسية والحربية والدينية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية ، وكان الرخاء والثراء والترف والمتعة محور هذه الحياة التى بلغت من الافتنان والبذخ حدا بعيدا .

ولقد كانت المرأة فى كل زمان ومكان هى عنوان المجتمع ومرآته الرقيقة التى تعكس حياتها الخاصة والعامة معا ، درجة التقدم والحضارة التى وصل اليها هذا المجتمع والمدى الذى بلغه أفراده من رقة الشعور وتهذيب النفس والقدرة على الاحساس بالجمال وتذوق الفن فى صوره المتعددة . ومما يؤيد ذلك ما ذكره المؤرخ الأديب ابن الخطيب عن نساء غرناطة اذ يقول :

« وحريمهم حريم جميل ، موصوف بالسحر وتنعم الجسوم واسترسال الشعور ونقاء الثغور وطيب النشر وخفة الحركات ، ونبل الكلام ، وحسن المحاورة ، الا أن الطول يندر فيهن ، وقد بلغن من التفنن فى الزينة لهذا العهد ، والمظاهرة بين المصبغات ، والتنفيس بالذهبيات والديباجيات ، والتماجن فى أشكال الحلى الى غاية نسأل الله أن يغض عنهن فيها عين الدهر ، ويكفكف الخطب ، ولا يجعلها من قبيل الابتلاء والفتنة ، وأن يعامل جميع من بها بستره ، ولا يسلبهم خفى لطفه ، بعزته وقدرته » [٢] .

وقد أبرز لنا هذا النص مدى تفنن نساء غرناطة فى استعمال أدوات الزينة المختلفة والحلى والمجوهرات النفيسة وأنواع الملابس الفاخرة التى اشتهر بها

---

(١) عن مؤلفات ابن الخطيب وأهميتها انظر : الاحاطة ـ المقدمة من ص ٦٨ الى ص ٧٨

(٢) الاحاطة ـ ص ١٤٤ ـ ١٤٥

الاقليم كالحرير والكتان ، وغيرها من مظاهر الغنى والترف والجمال التى تعبر عن سمو الفنون والصناعات وتؤكد مدى التقدم الذى بلغه أهل غرناطة فيها .

ومن ناحية أخرى ، لم يغفل ابن الخطيب فى كتاباته صفة الرجال من سكان غرناطة ، كما عدّد قبائلهم ، كذلك تحدث عن شجاعة جندها من العرب والبربر على السواء ، فوصف ملابسهم وأسلحتهم ودروعهم وتطورها حتى تساير ما كان عليه الحال فى جيوش أعدائهم ملوك أسبانيا المسيحيين ، وفى ذلك يقول : « وجندهم صنفان ، أندلسى وبربرى ، والأندلسى منها يقودهم رئيس من القرابة أو خصى من شيوخ الممالك ، وزيهم فى القديم شبه زى أقتالهم وأضدادهم من جيرانهم الفرنج ، اسباغ الدروع ، وتعليق الترسة ، وحفا البيضات ، واتخاذ عُراض الأسنة ، وبشاعة قرابيس السروج ، واستركاب حملة الرايات خلفه ، كل منهم بصفة تختص بسلاحه ، وشهرة يعرف بها . ثم عدلوا الآن عن هذا الذى ذكرنا ، الى الجواش المختصرة ، والبيضات المرهفات ، والسروج العربية ، والبيب اللمطية ، والأسُل العطفية » .

كذلك يظهر بجلاء ثراء ملوك غرناطة وبذخهم وتقدم الصناعات المختلفة فى مملكتهم ، كصناعة الحلى والأوانى المنوعة وآلات الحرب والقتال التى كانت من ألزم الصناعات وأهمها بالنسبة الى ظروف المملكة وما انتهى اليه حال المسلمين فى الأندلس فى عصور المملكة الأخيرة ، يظهر ذلك كله واضحا فى حديث صاحب « نفح الطيب » عما كانت تضمه خزائن الحمراء بين جدرانها من النفائس والثروة والأسلحة عند استسلامها للملكين الكاثوليكيين فيقول :

« .. كانت خزانة هذه الدار النصرية مشتملة على كل نفيسة من الياقوت ، ويتيمة من الجوهر وفريدة من الزمرد وثمينة من الفيروزج ، وعلى كل واق من الدروع وحام من العدة وماض من الأسلحة وفاخر من الآلة ونادر من الأمتعة فمن عقود فذة وسلوك جمة وأقراط تفضل على قرطى مارية نفاسة فائقة وحسنا رائقا ، ومن سيوف شواذ فى الابداع ، غرائب فى الاعجاب ، منسوبات الصفائح فى الطبع ، خالصات الحلى من التبر ، ومن دروع مقدرة السرد ، ملاحمة النسج واقية للناس فى يوم الحرب ، مشهورة النسبة الى داود نبى الله ، ومن جواشن

سابغة اللبسة ، ذهبية الحلية ، هندية الضرب ، ديباجية الثوب ، ومن بيضات عسجدية الطرق، جوهرية التنفيذ ، زبرجدية التقسيم ، ياقوتية المركز ، ومن مناطق لجينية الصوغ عريضة الشكل مزججة الصفح ، ومن درق لمطية ، مصمته المسام ، لينة المجسة ، معروفة المنعة ، صافية الأديم ، ومن قسى ناصعة الصبغة ، هلالية الحلقة ، منعطفة الجوانب ، زارية الحواجب ، الى آلات فاخرة من أوتار نحاسية ، ومنابر بلورية ، وطيافير دمشقية ، وسبحات زجاجية ، وصحاف صينية ، وأكواب عراقية ، وأقداح طباشيرية ، وسوى ذلك ما لا يحيط به وصف ولا يستوفيه العد .. » [١]

وبالرغم من كل هذه النعمة والغنى والقوة ، فان غرناطة لم تستمر طويلا تنعم بالحياة المستقرة الهادئة لأن حرب الاسترداد La Riconquista التى تزعمتها مملكتا قشتالة وأراجون أخذت تزداد وتشتد على أطراف المملكة ، مما دفع جميع مسلمى الأندلس الى ترك مدنهم واللجوء الى أحواز العاصمة . وفى نفس الوقت بلغ التنافس والتنازع على النفوذ والسلطان بين أفراد البيت المالك أشده ، مما دفع بعضهم الى طلب العون والمساندة من الممالك المسيحية لتحقيق أطماعهم الشخصية ، ولكن أعداءهم كانوا « يضربون بينهم بالخداع والمكر والكيد » [٢] فاضطربت أحوال البلاد وكثرت المؤامرات وانحسرت حدود المملكة الواسعة فى آخر الأمر داخل أسوار عاصمتها ، فضربت جيوش الملكين المسيحيين عليها حصارا شديدا محكما فى جمادى الآخرة سنة ٨٩٦ هـ (ابريل سنة ١٤٩١ م) ، وكلما اشتد الحصار زادت نار الفتنة اشتعالا ، ووجد اليأس والقنوط طريقهما الى قلوب المسلمين نتيجة للجوع والغلاء . وفى النهاية تآمر السلطان أبو عبد الله محمد بن على بنفسه Boabdil على تسليم المدينة وقلعتها الحصينة ، فى مقابل شروط معينة أهمها : تأمين السكان وأموالهم ومتاعهم — اطلاق جميع الأسرى من أهل غرناطة المسلمين — ترك الحرية للمسلمين لمزاولة شعائرهم الدينية فى المساجد — عدم التعرض لهم اذا رغبوا فى العبور الى العدوة (المغرب) ؛ الى غير ذلك من الشروط [٣] .

---

(١) المقرى — نفح الطيب جـ ٦ ص ٢٥٦

(٢) المرجع السابق ص ٢٥٤

(٣) عن هذه الشروط انظر المقرى — نفح الطيب جـ ٦ ص ٢٧٧ — ٢٧٨

وقد أرسلت هذه الشروط مع سفارة سرية الى ملك قشتالة الذى وافق عليها وطلب بدوره تقديم خمسمائة من كبار رجال المسلمين كرهائن ، فأجيب الى طلبه [١] فتقدمت قوة مسيحية نحو قصر الحمراء وتسللت الى داخله دون مقاومة . فتلقى السلطان أبو عبد الله محمد (الحادى عشر) قائدها فى برج قمارش Torre de Comares وسلمه مفتاح القلعة فقط دون مفتاح المدينة [٢] ــ فعاد القائد الى معسكر سيده الذى كان يبعد بحوالى اثنى عشر كيلومترا عن أسوار المدينة وصحبه والملكة ايزابلا الى الحمراء فدخلها فرناندو وايزابلا مع جيوشهما فى الثانى من ربيع الأول سنة ٨٩٧ هـ (٢ يناير سنة ١٤٩٢ م) فأقيمت مراسم احتفال تسليم المدينة ورفع العلم المسيحى والصليب بعد أن أنزل العلم الغرناطى فوق برج الحراسة Torre de la Vela الذى يتوسط مبنى القصبة القديمة باعتباره أكبر وأعلا أبراج الحمراء قاطبة . وبذلك انتهى آخر مظهر من مظاهر السيادة الاسلامية بالأندلس بعد أن ظلت ما يقرب من ثمانية قرون تخضع لحكم المسلمين الذين سطروا خلالها فى تاريخ هذه البلاد سجلا حافلا بالفخار والمجد والرفعة فى جميع فروع الحياة ومظاهر الحضارة المختلفة .

وبعد سبع سنوات من تسليم غرناطة واستقرار الحكم للمسيحيين ، نقض الملكان الكاثوليكيان شروط التسليم وألزموا المسلمين الذين ظلوا فى مدينتهم على اعتناق النصرانية مما دفع أهل البيازين للثورة على حكامهم ، ولكنهم أخذوا بشدة وقسوة شأنهم فى ذلك شأن جميع المسلمين ، مما اضطرهم فى النهاية الى الهروب والفرار لبلاد المغرب حيث نزلوا فاس وغيرها من المدن ، حتى خلت الأندلس بعد فترة آخرى من المسلمين [٣] ، بينما ارتد المستعربون عن الاسلام وعادوا الى دين المسيحية ، وهم الذين عرفوا منذ زمن الدولة الأموية وعصر الطوائف بحقدهم على المسلمين وكيدهم لهم .

قصر الحمراء (La Alhambra)

أما قصر الحمراء فهو دون منازع من أهم بل انه أعظم آثار المسلمين بالأندلس دارت حوله القصص ، وشهدت قاعاته ألوانا عده من العز والنعمة والجمال ، جنبا

(١) نفس المرجع جـ ٦ ص ٢٧٧

(٢) Al-Andalus, Vol. XX, Fasc. 2, p. 309.

(٣) المقرى ــ نفح الطيب ــ جـ ٦ ص ٢٧٩

الى جنب مع الحوادث والأحداث المثيرة . ويعرف هذا القصر اليوم فى اسبانيا والعالم أجمع باسم « الهامبرا » La Alhambra ويربض ذلك القصر بين سلسلة جبال الثلج « سيرا نيفادا » على ربوة مرتفعة شرقى غرناطة ، يشرف منها على ربض « البيازين » أشهر وأكبر أرباض العاصمة . ويعتبر هذا القصر ــ فى الحقيقة ــ بمثابة قلعة محصنه أو مدينة ملكية منيعة « Une sorte de ville royal dominant » (١) بالنظر الى أسواره الضخمة وأبراجه المتعددة ومرافقه المتنوعة (شكل ٢) .

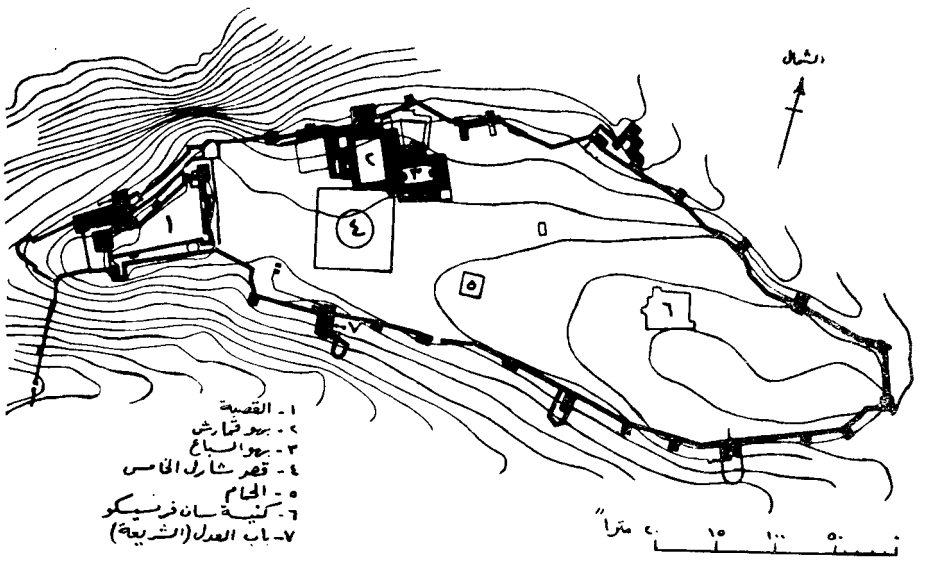

(شكل ٢)

أسوار الحمراء الخارجية بأبراجها العديدة وأهم المبانى الداخلية
(نقلا عن تورس بلباس)

شيد هذا القصر على مساحة غير منتظمة ــ تكاد تكون بيضاوية الشكل ، يصل أقصى طولها من الغرب الى الشرق ٧٤٠ مترا بينما يبلغ أكبر اتساع لها ٢٢٠ مترا عند الوسط تقريبا (٢) أى أنه يحتل مساحة ثلاثين (٣٠) دونما تقريبا بما فيه القصبة القديمة التى توجد فى أقصى الطرف الغربى .

---

(١) G. Marçais, Manuel d'Art Musulman, T. II, p. 534.

(٢) Ars Hispaniae, Vol. IV, p. 83.

ويعتبر قصر الحمراء سجلا لتاريخ أسرة بنى نصر ، ملوك غرناطة الذين امتد حكمهم على هذا الجزء من الأندلس الى أكثر من قرنيين ونصف من الزمان . وقد بدأ باقامة الجزء الغربى المعروف بالقصبة من هذه « المدينة » العظيمة السلطان محمد بن يوسف بن الأحمر ــ مؤسس هذه الدولة ــ بعد دخوله غرناطة فى سنة ٦٣٥هـ كما مر بنا من قبل ، وأتمها من بعده ابنه محمد الثانى الذى حكم ما يقرب من ثلاثين سنة ، واليه ينسب أيضا بناء جانب كبير من الأسوار الممتدة الى الشرق من القصبة حول « المدينة الكبيرة » ثم استكمل خلفاؤهما بقية الأسوار كما أقاموا الكثير من المنشآت والمرافق الداخلية كالمسجد والحمام وغيرهما .

أما المبانى الحربية الأخرى كالأسوار والأبراج والبوابات ، وكذلك المنشآت المدنية التى ما تزال تحتفظ بجلالها وروائع زخرفتها كالقاعات والأبهاء والحمامات والقباب ، فمعظمها يرجع الى عصر السلطان أبى الحجاج يوسف الأول وولده وخليفته محمد الخامس الغنى بالله كما أوضحنا فى الصفحات السابقة ، واليهما أيضا يرجع الفضل فى أبراز عظمة الحمراء وفخامتها حتى أصبحت بحق صفوة ما أخرجته العمارة الاسلامية فى الأندلس .

ولم تقف أعمال البناء والاضافة والتقوية والترميم بعد هذين الملكين بل ظلت الحمراء طيلة عهود خلفائها تحظى بالعناية والرعاية والاهتمام من جميع السلاطين باعتبارها منزلهم ومركز السلطة فى المملكة ، وقد استمر ذلك الاهتمام حتى قبيل سقوطها فى أيدى الملكين الكاثوليكيين عندما أمر السلطان سعد المستعين بالله أبن على فى ولايته الثانية (٨٥٧ ــ ٨٦٦هـ ــ ١٤٥٣ ــ ١٤٦١م) بزيادة تحصين وتقوية بعض أبوابها الضخمة فى أسوارها الشمالية والجنوبية[١] .

وللوصول الى الحمراء ــ على الأقدام ــ لابد للزائر من قطع الطريق المنحدر المجهد الذى يصل بين أسفل الربوة وقمتها التى تنتصب فوقها القلعة بأسوارها وأبراجها وقبابها العديدة الرشيقة ، وينتهى هذا الطريق من أعلاه

(١) Ars Hispaniae, Vol. IV. p. 85.

عند باب الشريعة (أو باب العدل) (Puerta de la Justicia) (شكل ٣) الذى أنشأه السلطان أبو الحجاج يوسف الأول فى سنة ٧٤٩ هـ (١٣٤٨ م) . ويعتبر هذا الباب المدخل الرئيسى الحالى للحمراء ، كما كان من أهم أبوابها القديمة أيضا . والمدخل داخل برج مربع ضخم تتقدمه فتحة معقودة بعقد « منفوخ متجاوز » يوصل الى الباب الذى يعلو عقده لوحة رخامية عليها سطران من الكتابة النسخية تتضمن اسم الباب واسم منشئه وتاريخ البناء مع بعض عبارات الدعاء [١] . والى عصر هذا السلطان أيضا — أبو الحجاج يوسف الأول —

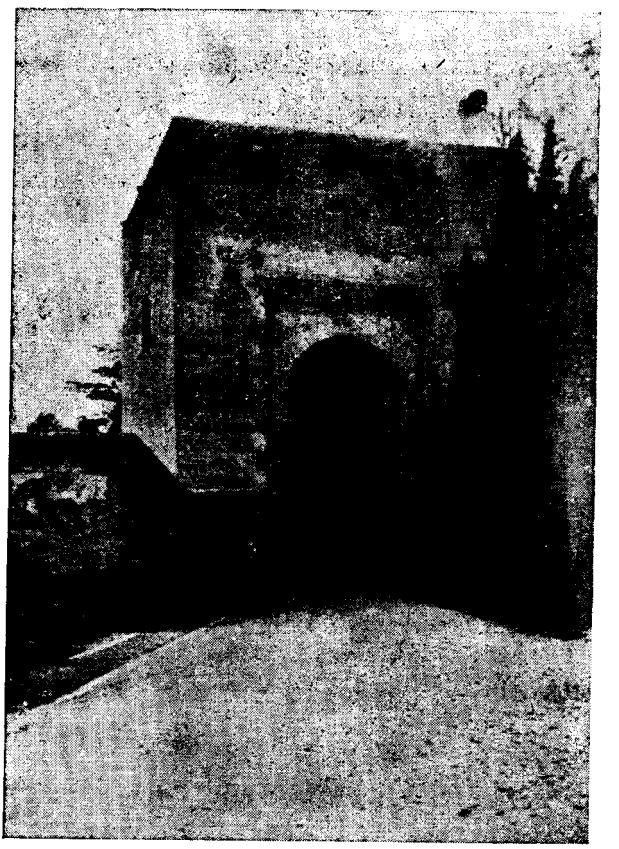

(شكل ٣)

باب العدل (الشريعة) المدخل الحالى للحمراء
(من تصوير المؤلف)

(١) محمد عبد الله عنان ــ الآثار الأندلسية الباقية ــ ص ١٥٦

يرجع بناء باب الغندور القائم فى السور الجنوبى والذى يعرف حاليا باسم (باب الطباق السبع) (Puerta de Siete Suelos) بالاضافة الى مجموعة من الأبراج التى تتخلل السور الشمالى وهى : برج المطرقة (Torre de la Machuca) — وبرج المتزين (Torre del Peinador) — وبرج القنديل (Torre del Candil) وبرج الأسيرة (Torre de la Cautiva) — وبرج قمارش (Torre de Comares)[1] الذى يعتبر جزءا من القصر العربى القديم (شكل ٤) وتعد قاعة هذا البرج

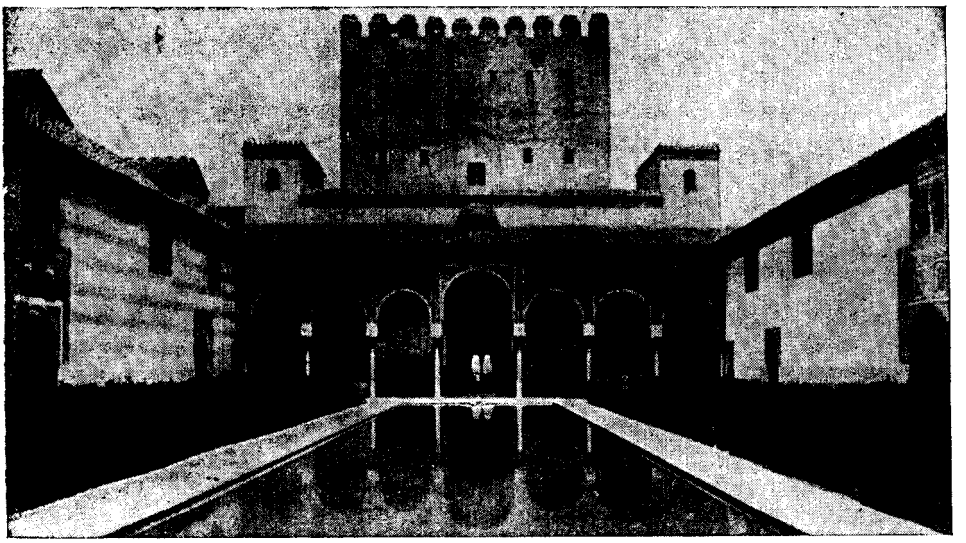

(شكل ٤)

بهو البركة (الريحان) وظهر المدخل المؤدى الى قاعة قمارش (أو قاعة السفراء)
(نقلا عن تورس بلباس)

الأخير من أفخم وأكبر قاعات الحمراء لكثرة زخارفها وتنوعها ودقتها وجمالها — وهذه القاعة هى التى التقى فيها السلطان أبو عبد الله محمد آخر ملوك غرناطة بالملكين الكاثوليكيين لاتمام مراسم تسليم القصر والمدينة — كما أشرنا من قبل .

كذلك أقام هذا السلطان أبو الحجاج الحمام الملكى وكسا جدرانه الداخلية من أسفلها بالقيشانى الملون ، بينما جعل سقفه على شكل قبة تتخللها فتحات

---

(١) Al-Andalus, Vol. XXIV, Fasc. 2, pp. 403—404.

صغيرة تسمح بدخول الضوء وتسرب الهواء (شكل ٥) . وقد وجد فى احدى فتحات حجرة المياه الساخنة بهذا الحمام لوحة رخامية عليها كتابه شعرية تتضمن اسم السلطان [١].

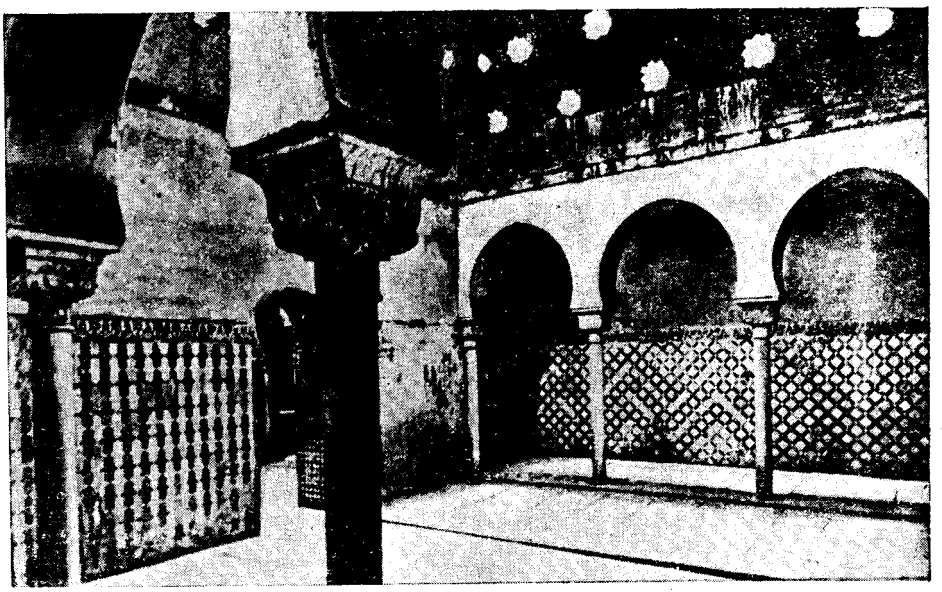

(شكل ٥)

جانب داخلى من بناء الحمام الملكى
(نقلا عن تورس بلباس)

واذا دلف الزائر من باب الشريعة الى الحمراء فانه يجد نفسه فى حوش متسع ، الى يساره (جهة الغرب) توجد القصبة القديمة بأسوارها الحصينة الضخمة التى يسير فى محازاتها من الداخل ممر حجرى يرتفع الى قرب نهاية السور لتسهيل مهمة المدافعين فى اصطياد المهاجمين . فاذا اتجهنا الى اليمين (ناحية الشرق) فان الزائر عليه أن يقطع المسافة العرضية للحمراء حتى يصل الى قرب السور الشمالى حيث يوجد مدخل القصر العربى القديم .

وأهم الملاحظات التى تسترعى انتباه الزائر لهذا القصر أن تخطيطه ليس له محور معلوم أو نظام معين كما هو الحال فى بناء القصور ، كما أنه لا

---

(١) المرجع السابق ص ٤٠٤

يتكون من عدة طوابق يعلو بعضها البعض كما يتبادر الى الذهن ولكنه فريد فى تخطيطه وتصميمه وبنائه اذ أنه يتكون من مجموعات من القاعات والأبهاء رصـــت بجانب بعضها البعض ، دون الالتزام بقاعدة ثابتة أو تخطيط منتظم واضح ، وربما كان ذلك راجعا الى طبيعة الأرضـــ الجبلية التى شيد البناء عليها ، والتى فرضت على البناء عدم الالتزام بالتماثيل واتباع الأصول الهندسية المعروفة فى التخطيط والهندسة ، ولكن البنائين استطاعوا أن يتغلبوا على هذه الظروف الطبيعية ، بل استغلوها أحسن استغلال ، وجعلوا للقصر أجنحة متفرعة بصورة لم تؤثر على جمال اخراج المبانى ودقة تنســيقها ، مع العناية الفائقة بتزيينها وزخرفتها . ومن جهة أخرى فان من أهم مميزات هذا القصر أيضا استغلال المهندس والبناء للأبراج التى تتخلل الأسوار الشمالية بصورة خاصة ، القريبة والبعيدة من أجنحة القصر ، فقد استغلوها لزيادة عدد قاعاته فزخرفت هذه القاعات ، وأصبحت من أجمل وأعظم مبانى القصر ، كما هو الحال فى برج قمارش وبرج الأسيرة وبرج الأميرات (Torre de las Infantas) وغيرها .

ولا يتسع المجال هنا للحديث بالوصف والتفصيل عن كل قاعات الحمراء وأبهائها ، ولكن يكفى أن نشير الى بعضها كمثال لنلمس مدى عظمة المبانى ودقة النقوش وتنوع الزخارف ورقتها ، وكلها تدل من غير شك على قمة ما بلغته حياة الترف والنعمة الموفورة والبذخ والافراط فى النفقات ، ومظـــاهر الجمال والمتعه التى كانت تشع فى أجواء هذا القصر الخالد ، فى عهد أولئك السلاطين الذين سطروا باحرف من نور صفحة من أجل صفحات الفن العربى وأروعها ، ستظل باقية فى سجل تاريخهم التليد ، شاهدا ودليلا على عظمة المسلمين وتقدمهم فى مجالى العمارة والفنون على السواء .

ومن أهم وأكبر أبهـــاء قصر الحمراء بهـــو الريحان أو بهـــو البركة كما يعـــرف حاليا عند الأســـبان (Patio de los Arrayanes & de la Alberca) وهو البهو الذى يتقدم برج قمارش (أنظر شكل ٤) . وقد اكتسب اسمه من البركة الكبيرة التى تتوسطه والتى تحيط بها أشجار الريحان . وعلى جانبيه الشمالى والجنوبى رواقان يطل كل منها على البركة بسبعة عقود ترتكز على أعمدة رخامية رشيقة ، العقد الأوسط منها أكثر اتساعا وارتفاعا ، وقد نقشت

على واجهات العقود جميعا زخارف جصية جميلة . ويوصل الباب الذى يتوسط الرواق الشمالى الى قاعة قمارش التى تشغل أسفل البرج ، وهى من أعظم وأفخم قاعات القصر حتى أنه يقال أنه كان يوجد بها عرش السلطان يوسف الأول أبى الحجاج منشئها ، فكان يجتمع فيها برجال الدولة ويقابل بها الوافدين للقائه من البلاد الأخرى فاطلق عليها أيضا اسم قاعة السفراء (Sala de los Embajadores) وقد فتحت فى جدرانها الثلاثة الشرقية والغربية والشمالية عند مستوى الأرض ثلاث نوافذ كبيرة فى كل جدار ، كما كسيت جميع جدرانها الداخلية بزخارف نباتية وهندسية مختلفة مع أفاريز عديدة من الكتابات العربية بالخط النسخى البديع ، نقشت فوق أرضية من الزخرفة النباتية الرائعة المعروفة باسم التوريق (أرابسك Arabesco) تتضمن اسم السلطان أبى الحجاج يوسف الأول وعبارات الدعاء له مثل « عز لمولانا أبو الحجاج عز نصره » ، « الحمد لله على نعمة الاسلام » ، « النصر والتمكين والفتح المبين لمولانا أبى الحجاج أمير المسلمين نصره الله » بالاضافة الى آيات عديدة من القرآن الكريم وأبيات من الشعر . كذلك نقشت بكثرة ظاهرة عبارة « ولا غالب الا الله » وهى شعار بنى نصر ، الذى لا يخلو منه حائط فى جميع انحاء القصر ، والتى أصبحت شعارا زخرفيا واسع الانتشار نلقاه فى المشرق والمغرب ، وفى المبانى الاسلامية وغير الاسلامية على السواء . (أنظر شكل ٦) . أما الأجزاء السفلى من الجدران فقد غطيت بالقاشانى الملون بمختلف الألوان ، كالأزرق والأبيض والأخضر والأحمر وغيرها ، بحيث تكون أشكالا زخرفية هندسية رائعة . وأما سقف القاعة فهو على شكل قبوة من الخشب نقشت بزخارف هندسية غاية فى الجمال والاتقان وما تزال الى الآن محتفظة برسومها ونقوشها وألوانها الأولى .

وفى الطرف الشرقى من مبانى القصر يوجد أشهر أبهاء الحمراء المعروفة ببهو السباع (Patio de los Liones) (شكل ٧) وهو من أعمال السلطان محمد الخامس الغنى بالله الذى شارك والدة أبو الحجاج يوسف الأول فى تجميل وتوسعة هذا القصر .

وقد اشتق بهو السباع اسمه من النافورة الكبيرة التى تتوسطه حيث يحيط بها اثنا عشر تمثالا من الرخام للسباع تفتح أفواهها ليتدفق منها الماء ، كما يجرى من فوقها وحولها بشكل يثير الاعجاب . ويزيد من جمال هذا البهو وروعة

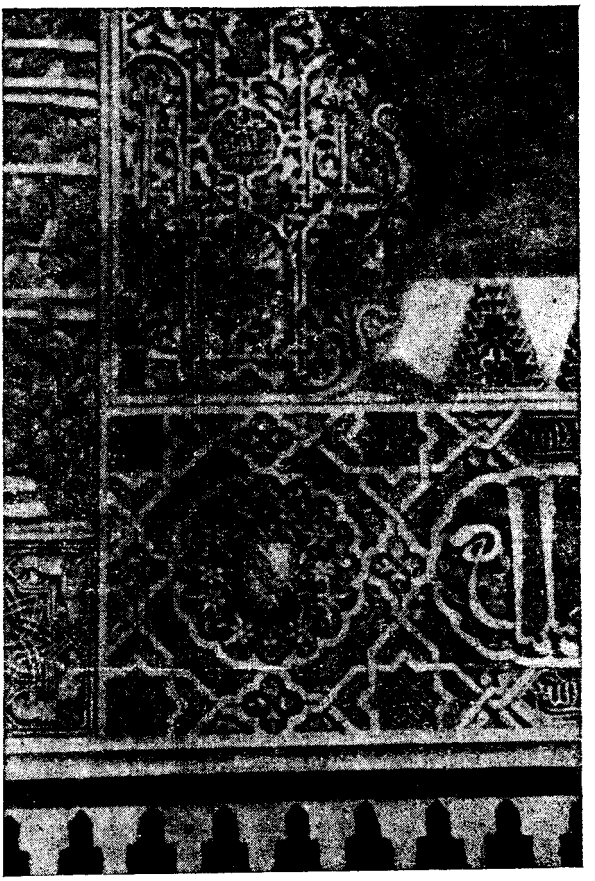

(شكل ٦)

نماذج من الزخارف النباتية والهندسية من الجص ظهر فيها شعار بنى الأحمر « ولا غالب الا الله » .. وكذلك عبارة « عز لمولانا السلطان عبد الله »

(من تصوير المؤلف)

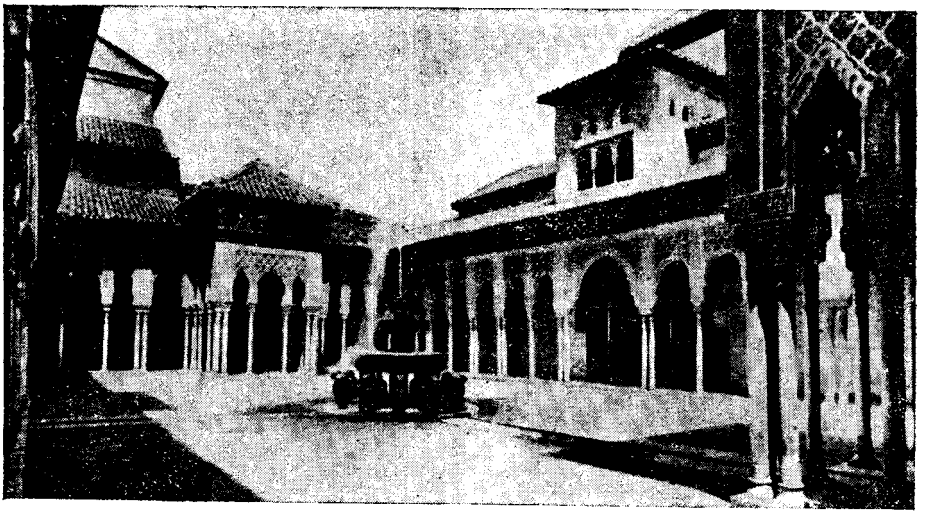

(شكل ٧)

بهو السباع الذى يحيط به مجموعة من القاعات الهامة
(نقلا عن تورس بلباس)

تنسيقة ، الأروقه المحيطه به ، تطل عليه يعقود مختلفة الحجم والشكل والرسم ، تعددت أسنتها وطالت أطرافها ، وظهر منها المقوس والمنفوخ ، والمدبب المنكسر ، والذى يجمع بين هذين الشكلين ، وقامت تحتها الأعمدة الرخامية الأنيقة منفرده تارة ، ومزدوجة تارة أخرى . وما أحسب أن العمد فى العمارة كانت يوما أبدع مما نراها عليه فى هذه الأروقة المحيطه ببهو السباع ، فهى ممشوقه البدن ، رفيعة القوام ، والناظر اليها يخيل اليه أن رءوسها لن تقوى على حمل العقود ، وقد توجت هذه الرءوس بتيجان أندلسية ، تكسوها الزخارف النباتية ، ثم ارتفعت فوقها الحدائر ، تحمل دعامات رشيقه ، التصقت بزواياها الأربعة عمد صغيرة تنبت منها العقود المقرنصة بدلاياتها كأنها لهيب يخرج من المواقد . (شكل ٨) .

هذه الزخارف المتناهية رقة واتقانا يزيدها جمالا تنوع ألوانها من أحمر فاتح وأزرق وأبيض ومذهب وأسود .

وتتبعنا هذه الروائع أينما حللنا بقاعة من قاعات القصر ، فاذا دلفنا مثلا الى قاعة الأختين (Sala de Dos Hermanas) القائمة فى منتصف الجدار الشمالى لبهو

السباع ــ وهى بدورها من عمل السلطان محمد الخامس الغنى بالله ــ شعرنا بفخامة البناء وثراء الزخرفة الى أقصى حد ، اذ يتدلى من السقف فى كل مكان حليه بهيه من المقرنصات والدلايات كانها أوكار فى الأشجار تتساقط كالأغصان، على عمد صغيرة رشيقة ملتصقة بالجدران .

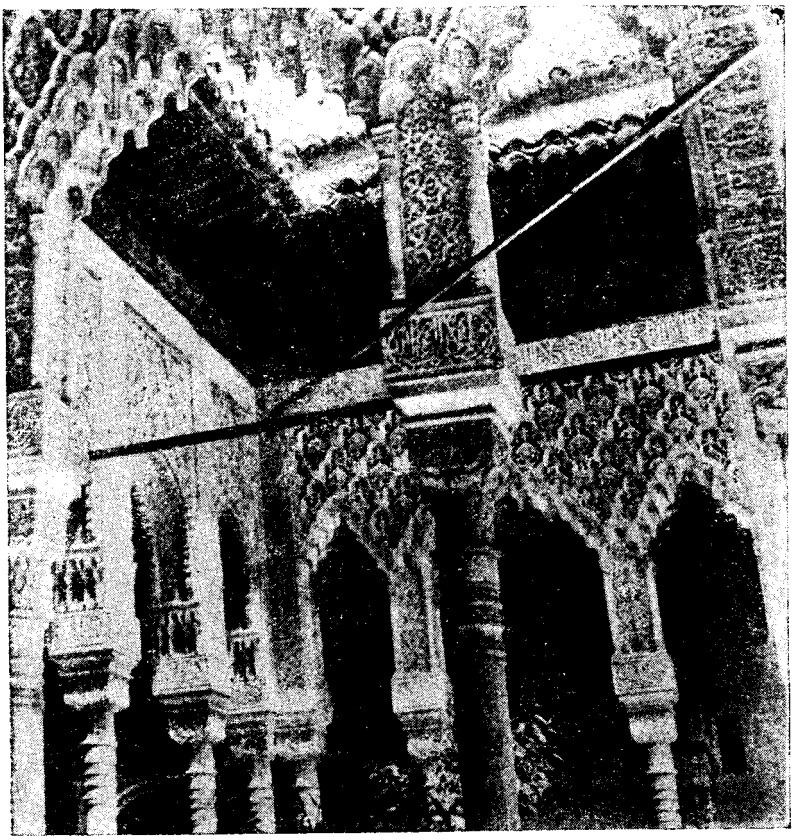

(شكل ٨)

بعض الزخارف الجصية المختلفة : النباتية والهندسية والكتابية والمقرنصات والدلايات فى الأروقة المحيطة ببهو السباع ..
(نقلا عن تورس بلباس)

كذلك تملأ بقية البناء الزخارف المختلفة وأفاريز الكتابة التى تتضمن آيات من القرآن الكريم وعبارات الدعاء ، مع شعار الأسرة « ولا غالب الا الله »

بينما كسى الجزء الأسفل بمربعات من القاشانى الملون الجميل كما هو مشاهد فى جميع الجدران .

ويقابل قاعة الأختين على الجانب الآخر من بهو السباع قاعة أخرى تشبهها وان كانت أقل منها ثراءا فى زخارفها ، هى قاعة « بنى سراج » (Sala de Abencerrajes) وهى بدورها من عصر السلطان الغنى بالله .

تلك بعض النماذج لقاعات الحمراء وأبهائها تجلو علينا روائع البناء والفن الاسلاميين ، وتعكس لنا صورة صادقة لما كانت تتمتع به مملكه غرطانه من عظمة وثراء ومكانه سامية،أصبحت معها مركز اشعاع تغمربأضوائها الساطعة وحضارتها المتقدمة المزدهرة فى مجالات العلم والأدب والفن والجمال كل ما خولها حتى غدت بحق القبس الذى أخذ منه العالم الغربى أيضا ، آخر مظاهر تطور الفنون الزخرفية الاسلامية حتى أخذت بلب الشاعر وسحرته وملكت عليه نفسه فأنشد قائلا :

غـــرناطة ما لهـــا نظـــير ما مصر ، ما الشام ، ما العراق
ما هى الا العـــروس تجلى وتلك جملة الصـــداق[1]

---

(١) المقرى ــ نفح الطيب ــ جـ ١ ص ١٤٢

مصادر ومراجع هذا البحث

(١) العربية :

١ ـ ابن الأبار (محمد بن عبد الله بن أبى بكر القضاعى) ـ كتاب الحلة السيراء ـ جزءان ـ تحقيق : دكتور حسين مؤنس .
طبعة أولى ـ القاهرة : ١٩٦٣

٢ ـ ابن الأثير (أبو الحسن على بن محمد الشيبانى) ـ الكامل فى التاريخ ـ ٩ أجزاء .
القاهرة : ١٣٤٨ هـ

٣ ـ ابن حيان (أبو مروان حيان بن خلف) ـ كتاب المقتبس فى تاريخ رجال الأندلس ـ القسم الثالث ـ نشر الأب ملشور م. أنطونيه .
باريس : ١٩٣٧

٤ ـ ابن الخطيب (لسان الدين محمد بن عبد الله) ـ الاحاطة فى اخبار غرناطة تحقيق : الأستاذ محمد عبد الله عنان ـ المجلد الأول .
القاهرة : ١٩٥٥

٥ ـ ابن خلدون (عبد الرحمن) ـ كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ـ ٧ أجزاء .
بولاق ـ ١٢٨٤ هـ (١٨٧٠ م)

٦ ـ ابن عذارى المراكشى ـ البيان المغرب فى أخبار المغرب ـ جزءان ـ مكتبة صادر . بيروت ١٩٥٠
ـ والجزء الرابع بعنوان : البيان المغرب فى اخبار ملوك الأندلس والمغرب (مطبوعات معهد مولاى الحسن) .
تطوان ١٩٥٦

٧ ـ أشباخ (يوسف) ـ تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين ـ ترجمة الأستاذ محمد عبد الله عنان ـ الطبعة الثانية .
القاهرة ١٣٧٧ هـ (١٩٥٨ م)

٨ ـ حسين مؤنس ـ دكتور ـ فجر الأندلس ـ دراسة فى تاريخ الأندلس من الفتح الاسلامى الى قيام الدولة الأموية ـ طبعة أولى .
القاهرة ١٩٥٩

٩ ـ الحموى (يا قوت بن عبد الله) ـ كتاب معجم البلدان ـ الطبعة الأولى
ليبزج ١٨٦٨

١٠ ـ الحميرى (محمد بن عبد الله بن عبد المنعم) ـ صفة جزيرة الأندلس ـ منتخبة من كتاب الروض المعطار فى خبر الأقطار ـ نشره وصححه وعلق عليه : ا. ليفى بروفنسال
القاهرة ١٩٣٧

١١ ــ السلاوى (أبو العباس أحمد بن خالد الناصرى) ــ كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ــ تحقيق : الأستاذ جعفر الناصرى والأستاذ محمد الناصرى ــ الجزء الثانى ــ الدولتان المرابطية والموحدية
الدار البيضاء : ١٩٥٤

١٢ ــ السيد عبد العزيز سالم ــ دكتور ــ تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ــ من الفتح العربى حتى سقوط الخلافة بقرطبة
دار المعارف ــ لبنان : ١٩٦٢
ــ تاريخ المغرب الكبير ــ ٣ ــ العصر الاسلامى
الدار القومية : ١٩٦٦

١٣ ــ عنان (محمد عبد الله) ــ الآثار الأندلسية الباقية فى اسبانيا والبرتغال ــ دراسة تاريخية أثرية ــ الطبعة الأولى
القاهرة : ١٩٥٦م (١٣٧٥ هـ)

١٤ ــ مجهول المؤلف ــ أخبار مجموعة فى فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم ــ نشر الأستاذ اميليو لافونتى الكنترا
مدريد : ١٨٦٧ م

(ب) الأجنبية :

1. Ars Hispaniae, Historia Universal del Arte Hispanico.
Vol. IV, Arte Almohade, Arte Nazari, Arte Mudéjar.
Por, Leopoldo Torres Balbàs, Madrid, 1949.

2. Bleye (Pedro Aguado).
Manual de Historia de Espàna.
Tomo I, Octava Ed. Madrid, 1958.

3. Coleccion de Cronicas Arabes de la Reconquista.
Tomo I, Al-Hulal Al Mawsiyya.
Trad Espan. Ambrosio Huici Miranda. Tetuan, 1952.
Vol. III, Al-Bayan Al-Mugrib Fi Ijtisar Ajbar Muluk Al-Andalus Wa Al-Magrib.
Por, Ibn Idari Al-Marrakusi, Los Almohades, Toms, II.
Trad. Espan. A. Huici Miranda, Tetuan, 1954.

4. Historia de Espania.
Dirigida por, Ramon Menéndez Pidal.
— Tomo, IV, Espana Musulmana fasta la caìda del Califato de Cordoba (711—1031 de J.C.)
Por, E. Levi - Provençal.
Trad. Emilio Garcia Goméz.
Segunda edicion, Madrid, 1957.

— Tomo V, Instituciones y Vida Social E Intelectual.
Por, E. Levi - Provençal.
Trad. Emilio Garcia Goméz. Madrid, 1957.

5. Marçais, (Georges), Manuel d'Art Musulman.
L'Architecture Tunisie, Algérie, Maroc, Espagne, Sicile.
Tomo, II, Paris, 1927.

6. Ma. de Azcàrate (José), Monumentos Lspanoles.
Tomo, I, segunda Ed. Madrid, 1953.

7. Miranda (Ambrosio Huici), Las Grandes batallas de la Reconquista durante las Invasiones Africanas.
(Almoravides, Almohades y Benimerines). Madrid, 1956.

8. Vives (Antonio Prieto), Los Reyes de Taifas.
Madrid, 1926.

9. Al-Andalus, Rivista de la Escuelas de Estudios Arabes de Madrid y Granada.
— Vol. III, Fasc, 2, 1935.
— Vol. IV, Fasc, 1, 1936.
— Vol. XX, Fasc, 2, 1956.
— Vol. XXI, Fasc, 1, 1956.
— Vol. XXIV, Fasc, 2, 1959.